مقاصد سورة الجاثية (دراسة تطبيقية)

The Objectives of Surat al-Jathiyah: An Applied Study

سماح بشير حسين*

Samah Bashir Hussein

samah.٢٤ehp٦٠@student.uomosul.edu.iq

https://orcid.org/٠٠٠٩-٠٠٠١-٧٠١٥-٩٥٠٦

أ.م. ناصر يوسف عبدالله

https://scholar.google.com/citations?user=snXmvSsAAAAJ&hl=ar

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءةٍ تفسيريةٍ مقاصديةٍ لسورة الجاثية، تكشف مقصدها الكلي، وتبيّن أثره في انتظام بنائها الموضوعي والحجاجي، وفي تفسير مقاطعها وآياتها في ضوء الغاية الجامعة للسورة، وينطلق البحث من أن التفسير المقاصدي لا يقف عند مجرد استخراج المقاصد العامة، بل يتجاوز ذلك إلى قراءة السورة بوصفها وحدةً دلاليةً متماسكة، تُردّ جزئياتها إلى كلياتها، وتُفهم انتقالاتها في ضوء مقصدها الأعلى.

وقد اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، مع الإفادة من المنهج التفسيري ذي المنزع المقاصدي، من خلال تتبع بنية السورة، والربط بين مطلعها وخاتمتها، وتحليل وحداتها الموضوعية ومسالكها الحجاجية، ثم تفسير مقاطعها الرئيسة في ضوء مقصدها الجامع.

وقد خلص البحث إلى أن سورة الجاثية تنتظم حول مقصدٍ كليٍّ يتمثل في إقامة سلطان الله في الاعتقاد والتشريع والجزاء، بتحويل آيات الوحي والكون إلى يقينٍ ملزمٍ يقتضي اتباع الشريعة، ورفض سلطان الهوى، واستحضار مشهد الحساب حيث تُدعى كل أمة إلى كتابها، كما بيّن أن التفسير المقاصدي أسهم في الكشف عن الوحدة البنائية للسورة، وفي إظهار الصلة بين الحجاج العقدي، والتوجيه التشريعي، والتقرير الأخروي، بوصفها حلقاتٍ متكاملةً في بناء الهداية القرآنية.

الكلمات المفتاحية: التفسير المقاصدي؛ مقاصد السور؛ سورة الجاثية؛ الوحدة الموضوعية؛ الحجاج القرآني.

* جامعة الموصل: كلية التربية/قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية.

Abstract:

This study aims to present a maqāṣid-oriented exegetical reading of Sūrat al-Jāthiyah, one that reveals its overarching objective and clarifies its impact on the coherence of the sūrah's thematic and argumentative structure, as well as on the interpretation of its passages and verses in light of its unifying purpose. The study proceeds from the premise that maqāṣid-based exegesis does not merely seek to extract general purposes; rather, it goes beyond that to read the sūrah as an integrated semantic whole, in which its particulars are referred back to its universals and its transitions are understood in the light of its highest objective.

The study adopts an inductive and analytical method, while also benefiting from an exegetical approach informed by maqāṣidic inquiry. This is pursued through examining the structure of the sūrah, establishing the relationship between its opening and conclusion, analyzing its thematic units and argumentative modes, and then interpreting its principal passages in the light of its comprehensive objective.

The study concludes that Sūrat al-Jāthiyah is structured around a central overarching purpose, namely the establishment of God's authority in matters of belief, legislation, and recompense, through transforming the signs of revelation and the cosmos into binding certainty that necessitates adherence to the Sharīʿah, rejection of the authority of caprice, and conscious recollection of the scene of judgment, wherein every community shall be summoned to its record. The study further demonstrates that maqāṣid-based exegesis contributes to uncovering the structural unity of the sūrah and to highlighting the relationship between theological argumentation, legislative direction, and eschatological declaration, as interconnected components within the Qur'anic architecture of guidance

Keywords: purposive interpretation; purposes of the surah; Surah al-Jathiya; thematic unity; Qur'anic arguments

المقدمة:

إنَّ القرآن الكريم كتابُ هدايةٍ وبناءٍ وإصلاح، لا تُدرك حقائقُ خطابه على وجهها الأكمل إذا جُزِّئت آياتُه، وفُصِل بعضُها عن بعض، وأُخذت مفرداتُه متناثرةً لا يربطها مقصدٌ جامع، ولا تنتظمها وحدةٌ دلاليةٌ محكمة، ومن هنا كانت الحاجة ماسّةً إلى استحضار مناهج التفسير التي تتجاوز حدود البيان الجزئي إلى الكشف عن الغايات الكلية التي تنتظم السورة، وتجمع شتات موضوعاتها، وتردّ فروعها إلى أصولها، ومن أبرز هذه المناهج :التفسير المقاصدي؛ إذ يُعنى بالنظر إلى النص القرآني بوصفه بناءً

هادفًا، تتساند أجزاؤه في خدمة مقصدٍ جامع، وتتكامل معانيه في إنتاج الهداية والإصلاح وتقويم الإنسان.

وتُعدّ سورة الجاثية من السور التي يظهر فيها هذا التماسك بأجلى صوره؛ فهي سورةٌ تتآزر فيها قضايا الوحي، والتوحيد، ودلائل الكون، وفساد الهوى، ومركزية الشريعة، ثم تنتهي إلى مشهد الحساب والجزاء، في نسقٍ حجاجيٍّ متصل، يكشف أن السورة لا تعرض موضوعاتٍ متجاورةً من غير رابطة، وإنما تنتظم حول غايةٍ كليةٍ تحكم مسارها، وتفسر انتقالاتها، وتربط بين مطلعها وخاتمتها، وإذا كانت بعض القراءات التفسيرية تقف عند حدود المعنى الجزئي للآيات، فإن التفسير المقاصدي يُعين على إبصار الخيط الجامع الذي تنتظم به السورة، ويكشف وظيفة النص، لا من جهة المضمون فحسب، بل من جهة البناء والترتيب ومسالك الاستدلال أيضًا.

ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث ليقدّم قراءةً تفسيريةً مقاصديةً لسورة الجاثية، لا تقتصر على استخراج مقصدها العام، بل تسعى إلى تفسير مقاطعها في ضوء مقصدها الكلي، وبيان أثر ذلك في فهم وحدتها الموضوعية، وبنيتها الحجاجية، ووظيفتها الإصلاحية، فالمقصود ليس مجرد تقرير أن للسورة مقصدًا أعلى، بل الكشف عن كيفية اشتغال هذا المقصد في توجيه الدلالة، وربط المعاني، وتفسير الانتقال من تقرير الوحي، إلى إيقاظ النظر في الآيات الكونية، إلى النهي عن اتباع الهوى، إلى إقامة سلطان الشريعة، إلى مشهد الجاثية حيث تُدعى كل أمة إلى كتابها، ويظهر العدل الإلهي في أتمّ صوره، وهذا ما يجعل سورة الجاثية ميدانًا مناسبًا لتجلية فاعلية التفسير المقاصدي، وإبراز طاقته في قراءة السورة قراءةً كليةً محكمة .

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية هذا البحث في بيان الكيفية التي يسهم بها التفسير المقاصدي في فهم سورة الجاثية، والكشف عن مقصدها الكلي، وتفسير بنائها الموضوعي والحجاجي في ضوء هذا المقصد، بعيدًا عن القراءة التجزيئية التي تفصل بين موضوعات السورة ومقاطعها، ولا تُحسن ردَّ جزئياتها إلى غايتها الجامعة.

ويتفرع عن هذه الإشكالية الرئيسة عددٌ من الأسئلة، من أبرزها:

- ما المقصود بالتفسير المقاصدي، وما أبرز ضوابطه في التعامل مع السور القرآنية؟
- ما المقصد الكلي الذي تنتظم حوله سورة الجاثية؟
- كيف تسهم القراءة المقاصدية في تفسير مقاطع السورة وربط موضوعاتها؟

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من وجوهٍ متعددة:

أولها: أنه يعالج التفسير المقاصدي بوصفه منهجًا تفسيريًا قادرًا على تجاوز حدود القراءة التجزيئية، والكشف عن البناء الكلي للسورة القرآنية، وربط معانيها الجزئية بمقصدها الجامع.

وثانيها: أنه يتخذ من سورة الجاثية ميدانًا تطبيقيًا؛ وهي من السور التي تبرز فيها الوحدة الموضوعية والحجاجية بوضوح، لاجتماع قضايا الوحي والتوحيد والشريعة والبعث والجزاء فيها في نظامٍ مترابط.

وثالثها: أنه لا يقتصر على تقرير مقصد السورة من حيث هو نتيجةٌ عامة، بل يسعى إلى بيان الأثر التفسيري لهذا المقصد في فهم مقاطع السورة، وبيان الصلة بين بنائها الخطابي ووظيفتها الهداية.

ورابعها: أنه يسهم في الإفادة من الدراسات المقاصدية المعاصرة، مع ردّها إلى سياق التفسير العملي التطبيقي، بما يعين على ترشيد هذا المسلك، وصونه من التوسع غير المنضبط أو التكلّف في ادعاء المقاصد.

أهداف البحث

يرمي هذا البحث إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف العلمية، من أبرزها:

أولًا: بيان مفهوم التفسير المقاصدي وخصائصه وضوابطه على نحوٍ يخدم الجانب التطبيقي.

ثانيًا: الكشف عن المقصد الكلي لسورة الجاثية، وبيان أثره في انتظام بنائها الموضوعي والحجاجي.

ثالثًا: تفسير مقاطع سورة الجاثية تفسيرًا مقاصديًا يربط بين الآيات الجزئية والغاية الجامعة للسورة.

رابعا: تصنيف مقاصد سورة الجاثية في ضوء مراتب المقاصد؛ الضرورية، والحاجية، والتحسينية، وبيان أثر ذلك في تعميق الفهم التفسيري.

خامسا: إظهار الطاقة الإصلاحية للخطاب القرآني في السورة، وكيف تسهم القراءة المقاصدية في تجاوز الدلالة اللفظية المجردة إلى إبراز وظيفة السورة في بناء اليقين، وتقويم العقل، وضبط الهوى، وإقامة سلطان الشريعة والجزاء.

الدراسات السابقة

أظهر استقراء الدراسات ذات الصلة أنّها تنتظم في اتجاهين رئيسين: اتجاهٍ تأصيليٍّ عُنِي بتحرير مفهوم التفسير المقاصدي وبيان أسسه المنهجية، ومن أبرز نماذجه:

التفسير المقاصدي للقرآن الكريم: علي محمد أسعد، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المجلد:٢٣ العدد: ٨٩، ٢٠١٧.

التفسير المقاصدي عند سعيد حوى في تفسيره الأساس – نماذج تطبيقية، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، ٢٠٢٠م.

واتجاهٍ تطبيقيٍّ تناول سور الحواميم أو بعض جوانبها الموضوعية والبلاغية، ومن ذلك:

العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم: هداية عبد الرحمن الميتاني، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٢٠م.

المناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها (دراسة تطبيقية على سور الحواميم): وفاء كمال فيصل قلالوة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٢٢م.

ومع أهمية هذه الجهود، فإن الباحثة – في حدود ما اطّلعت عليه – لم تقف على دراسةٍ مستقلة تعالج سورة الجاثية معالجةً تفسيريةً مقاصديةً متكاملة، تفسّر مقاطعها في ضوء مقصدها الكلي، وتكشف أثر هذا المنهج في بيان نظمها، ووحدتها الموضوعية، وبنيتها الحجاجية، ووظيفتها الهداية؛ ومن هنا تتحدد الإضافة العلمية لهذا البحث

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ إذ قام على استقراء النصوص والمفاهيم المتصلة بالتفسير المقاصدي وتحليلها، ثم استقراء سورة الجاثية في بنيتها الكلية، وربط مطلعها بخاتمتها، وتتبع مسالك الاستدلال والروابط السياقية فيها؛ لاستخراج مقصدها الأعلى ومقاصدها الكلية والجزئية، كما سار البحث في تطبيقه عبر دراسة تسمية السورة ونزولها ومناسبتها، ثم تحليل بنائها الموضوعي والحجاجي، وموازنة مقاصدها في ضوء مراتب الضروريات والحاجيات والتحسينيات، وقد أفاد كذلك من المنهج الوصفي في عرض الأقوال وتحقيق المصطلحات، ومن المنهج المقارن على نحوٍ جزئي، مع بقاء العمدة في بنائه المنهجي على الاستقراء والتحليل وردّ الجزئيات إلى الكليات

خطة البحث

المبحث الأول: التفسير المقاصدي: مفهومه وأصوله وضوابطه:

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح (التفسير المقاصدي):

المطلب الثاني: منهجية الكشف عن مقاصد السور القرآنية

المطلب الثالث: في بيان الصلة بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن

المبحث الثاني: التطبيق المقاصدي على سورة الجاثية

المطلب الأول: بين يدي السورة: تسميتها ونزولها ومناسبتها لما قبلها

المطلب الثاني: المقصد الأعلى ومقاصد السورة الكلية والجزئية

المطلب الثالث: مقاصد السورة في ميزان الضروريات والحاجيات والتحسينيات.

المبحث الأول: التفسير المقاصدي: مفهومه وأصوله وضوابطه:

لم يعد النظر في السورة القرآنية بوصفها مجرد تجاورٍ بين آياتٍ متفرقةٍ كافيًا في تحصيل الفهم الراشد لخطابها؛ ذلك أن السورة في بنائها البياني والتشريعي تنتظم حول غايةٍ جامعة، تشدّ أطرافها، وتفسّر انتقالاتها، وتردّ جزئياتها إلى كلياتها، ومن هنا برزت الحاجة إلى الإفادة من التفسير المقاصدي بوصفه مسلكًا يجاوز حدود الوقوف عند الدلالة الجزئية للفظ، إلى الكشف عن المقصد الحاكم للسورة، وبيان أثره في فهم بنائها الموضوعي والحجاجي، وفي تفسير وحداتها ومقاطعها على وجهٍ يراعي انتظامها الكلي.

ولا يراد بالتفسير المقاصدي إلغاء ما استقر في كتب التفسير من الاعتناء باللغة، والسياق، وأسباب النزول، والمناسبات، وأقوال السلف والمفسرين، وإنما يراد به الإفادة من هذه الأدوات كلِّها في قراءة السورة قراءةً كليةً منضبطة، تستجلي الغاية الجامعة للنص، وتكشف كيف تتساند المعاني الجزئية في خدمتها، ولذلك كان من الضروري قبل الشروع في التطبيق على سورة الجاثية أن يُمهد لهذا المسلك ببيان مفهومه، وأصوله العلمية، وضوابطه المنهجية.

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمصطلح (التفسير المقاصدي):

إنَّ التعريفَ مِفتاحُ العلوم، وبه تُستبانُ الحدودُ؛ إذ لا يُبنى بحثٌ رصينٌ على مصطلحٍ مُرسلٍ تتجاذبُه الأفهام، ومصطلحُ (التفسير المقاصدي) من الألفاظ التي شاع تداولُها في الدراسات المعاصرة، غير أنّ شيوعَها لا يغني عن تحرير معناها، ولا يكفي في صونها من التداخل مع نظائرها: كالتفسير الموضوعي، أو تعليل الأحكام، أو مجرد استحضار الحكمة عند البيان.

ومن ثَمّ كان المناسب أن يُفتتح هذا المطلبُ بتمهيدٍ تعريفي، فيُقسم المصطلحَ إلى رُكنيه: (التفسير) و (المقاصد) ليدرك الباحثُ أصلَ الدلالة في اللغة، ثم يترقّى إلى الاصطلاح، فيجمع بين حقِّ اللغة وحقِّ العلم، ويُقيم تعريفًا مانعًا جامعًا يَفصلُ بين ما يدخل في الباب وما يباينه، وعلى هذا النسق نمضي إلى بيان التعريف اللغوي ثم التعريف الاصطلاحي للتفسير المقاصدي، ليكون ذلك سُلّمًا أمينًا لما بعده من تقرير الضوابط، وتوصيف المنهج، وبيان مجالات تطبيقه، وقبل الشروع في تعريف التفسير المقاصدي بوصفه مصطلحاً مركباً، لا بد من الوقوف أولاً على تعريف كلٍّ من جزأيه على حدة، ليتضح المعنى الكلي للمركب بعد ذلك:

التفسير لغة: مادةُ (ف س ر) تدور في لسان العرب على الإبانة والبيان وكشف ما خَفِيَ وغَمُض؛ فهو إظهارُ المراد من اللفظ المُشكِل وشرحُ مُجمله [١]، وفي لسان العرب: "الفَسْر: البيان، والتفسير: كشف

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفي: ٣٩٣هـ)، (٢/ ٧٨١)، ولسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى

المراد عن اللفظ المشكل"[١]، وقيل: "بيان وتفصيل للكِتاب"[٢]، وتزيدها العربية بُعدًا دقيقًا في قولهم: "فَسَر الطبيبُ بولَ المريض" أي استدلّ بالظاهر على الباطن [٣]، فيكون التفسير كشفًا للمعنى المستتر لا مجرد شرحٍ سطحي؛ ومن ثم استُعمل المصطلح لعلم تفسير القرآن لأنه يقوم على إظهار معانيه وبيان مراميه.

التفسير اصطلاحا: فقد تعددت التعاريف وتنوعت في بيان معنى التفسير فقد عرفه الزركشي* بأنه: "علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم: وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[٤]

وقيل: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع"[٥]

والمقاصد لغةً: جمعُ مَقْصِد، وهو اسمُ مكانٍ من (قَصَدَ)، وأصلُه التوجّهُ المُتعَمَّدُ إلى غايةٍ بعينها على وجهٍ من الاستقامة أو الميل، مع نيةٍ واعتزام [٦]، ودلالةُ الفعل تتّسع لمعنى الاعتدال والعدل كما في قوله

(المتوفي: ٧١١هـ)،(٥/ ٥٥)، وكتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفي: ١٧٠هـ)، (٢٤٧/٧-٢٤٨) ، ومختار الصحاح: زين الدين أبوعبدالله محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي،(ص: ٢٣٩)، ومعجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي: ٣٩٥هـ)،(٤/ ٤٠٢)، ومعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (٢/ ٦٨٨).

(١) لسان العرب: (٥/ ٥٥).

(٢) كتاب العين: (٢٤٧/٧-٢٤٨).

(٣) ينظر: المعجم الوسيط: (٢/ ٦٨٨).

* الزركشي (٧٤٥-٧٩٤هـ/١٣٤٤-١٣٩٢م): بدرُ الدين محمدُ بنُ بهادرَ بنِ عبدِ الله، أبو عبدِ الله، من كبارِ أئمّةِ الشافعيّةِ في الفقهِ والأصول، تركيُّ الأصلِ، مصريُّ المولدِ والوفاةِ، اتّسعَ باعُه في العلوم، وكثرتْ مصنّفاتُه، فكان من أعلامِ التحقيقِ والتحرير، ومن أشهرِ آثاره: البحر المحيط، والمنثور، والإجابة، وإعلام الساجد. ينظر: الأعلام للزركلي، (٦/ ٦٠ - ٦١).

(٤) البرهان في علوم القران: بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، (ص٢٢).

(٥) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، (١١/١).

(٦) ينظر: لسان العرب: (٣/ ٣٥٥)، والعين: (٥٤/٥)، ومختار الصحاح: (ص:٢٥٤)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، (٣/ ١٨٢٠).

تعالى:ُّ هم هٰ يجًّ[١]، وقد تأتي لمعنى الميل إلى عدلٍ أو جور؛ جاء في لسان العرب: "الاعْتِزام والتوجُّه والنهود والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جور"[٢].

وعليه يُضبط «المقصد» بضابطين: سياقيّ يراعي نظام السورة وترتيب آياتها، ومقاصديّ يراعي كليات الشرع ومعايير الاعتبار؛ لئلا تُتَّخذ المقاصد ذريعةً لاتباع الهوى، بل تكون آلةً لخدمة فهم القرآن على وجهٍ يليق بجلاله.

المطلب الثاني: منهجية الكشف عن مقاصد السور القرآنية

يمثل الكشف عن مقاصد السور القرآنية غاية أساسية من غايات علم التفسير، ومرتكزاً جوهرياً لفهم كتاب الله فهماً عميقاً متكاملاً، فمقصد السورة هو الغرض الأساسي الذي سيقت لأجله السورة والذي تدور حوله موضوعاتها وتأتلف به آياتها٣، إن إدراك هذا المقصد يمنح القارئ الباحث رؤية كلية للسورة، ويحول دون تشتت الفهم بين موضوعاتها المتعددة، ويربط الجزئيات بالكليات.

فكما أن للقرآن الكريم مقاصد عامة سبقت الإشارة إليها فإن للسور مقاصد أيضا، فلكل سورة مقصد أو مقاصد وهدف أو أهداف يتركز عليها معاني تلك السورة [٤]، وبالرغم من أن مسمى المقاصد برز في مؤلفات المتأخرين من العلماء إلا أن السلف الأخيار قد سبقوهم في طرق باب مقاصد السور وإن لم يَنُصُوا عليه تنصيصاً، فقد ورد عن البعض من الصحابة اهتمامهم ببيان الغرض من السورة، من ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: (كان عُمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لِمَ تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال:((إنه مِمَّن قد علِمتم)) قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ [٥] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمَرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نُصِرنا وفُتِحَ علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلَمَه الله لَه: إذا جاء نصر الله والفتح فتحُ مكة،

(١) سورة لقمان: من الآية: ١٩.

(٢) لسان العرب: (٣/٣٥٥).

(٣) ينظر: علم مقاصد السور وأثره في التدبر: عبد المحسن بن زبن المطيري، (ص: ١٦).

(٤) ينظر: مقاصد القران الكريم: قراءة معرفية، (ص: ٩٨).

(٥) (النصر: ١-٢).

فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. قال عمر: ((ما أعلم منها إلا ما تعلم)) [١].

فتفاوتُ الصحابة (رضوان الله عليهم) في فهم مغزى السورة دليل على تفاوت الناس في فهم الغرض، فمنهم من يفهم فهماً دقيقاً، ومنهم من يفهم فهما عاماً، فسؤال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن مغزى السورة دليل على تقرر مقاصد السور عندهم بفهمهم الثاقب [٢].

وفي هذا يقول ابن القيم: "وهذا من أدق الفهم وألطفه، ولا يدركه كل أحد، فإنه سبحانه لم يعلق الاستغفار بعلمه، بل علقه بما يحدثه هو سبحانه من نعمة من فتحه على رسوله ودخول الناس في دينه، وهذا ليس بسبب للاستغفار، فعُلم أن سبب الاستغفار غيره، وهو حضور الأجل الذي من تمام نعمة الله على عبده توفيقه للتوبة النصوح، والاستغفار بين يديه ليلقى ربه طاهراً مُطَهراً من كل ذنب، فيقدم عليه مسرورا راضيا مرضيا عنه"[٣].

وتقوم منهجية الكشف عن هذه المقاصد على أسس علمية دقيقة وخطوات متكاملة، استنبطها العلماء عبر قرون من الدرس والتحليل للقرآن الكريم،

ضوابط ومعايير معرفة مقصد السورة: إن المقصد القرآني في السورة هي بمثابة المحور الرئيسي الذي تدور حوله معاني السورة، والغاية الكلية التي تنتظم في ضوئها موضوعات السورة وجزئياتها، كما أن تحديد مقصد السورة عملية اجتهادية تعتمد على التدبر والتأمل الشامل لبنية السورة، إذ إن المقصد في الغالب معنى خفي لا يظهر بمجرد قراءةٍ جزئيةٍ للسورة وإنما من خلال استيعاب النص كاملا، وربطه لبعضها ببعض، ووجه خفائه يكمن في كونه الروح التي تسري في السورة فتنشئ بين آياتها وحدة موضوعية، فتتساند العناصر الجزئية لخدمة الهدف الأعظم للسورة فتصبح كل جزء مساهما في بناء المعنى الكلي[٤]، كما يعد المقصد الغاية والمغزى العام الذي تسعى السورة إلى ترسيخه في وعي المتلقي، سواء من خلال التربية والإعداد، ام الحث والتحذير، أو كشف الحقائق ومعالجة قضية

(١) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، كتاب المغازي، باب منزل النبي (صلى الله عليه وسلم) يوم الفتح، رقم الحديث (٤٢٩٤)، (١٤٩/٥).

(٢) ينظر: علم مقاصد السور، د. محمد بن عبد الله عبد الرحمن الربيعة، (ص:٢٣).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، (٣/ ١٢٤).

(٤) ينظر: علم مقاصد السور وأثره في التدبر، (ص:٧٥).

مخصوصة، أو الترغيب والترهيب، وبذلك فالمقاصد القرآنية في السور تمثل إطارا تفسيرياً متكاملا يساعد على إدراك البعد الكلي للسورة، ويوصل إلى الوحدة الجامعة التي تربط السور جميعا(١).

الكشف عن مقاصد السور: إنّ كلَّ سورة من سور القرآن الكريم تنبني على مقصدٍ رئيسٍ واحدٍ، يُستدل عليه من خلال مطلعها وختامها، وتُرتَّب حوله المقدمات والأدلة على نحو محكم وبديع، فإذا عرض في السورة ما يحتاج إلى بيان أو توكيد، ساق القرآن الدلائل تلو الدلائل، حتى تبلغ الغاية المقصودة، فيُختَم الكلام بما ابتدأت به السورة من مقاصد ، ولكن في نسق آخر يزيد المعنى رسوخًا ووضوحًا، وبهذا الترابط المحكم تصبح السورة كالبناء المتكامل أو كالشجرة الوارفة؛ تتصل أغصانها وتتناسق ثمارها، بحيث يعانق ختامها مطلعها، وتتلاحم مقاطعها تلاحمًا دائريًا، يُظهر وحدة السورة الموضوعية، ويبرز إعـجـاز نظمها القرآني(٢).

أما منهجية وطريقة الكشف عن مقاصد السورة فيحتاج إلى أمور أهمها:(٣)

١- صدق الإيمان بالقرآن الكريم، وإخلاص العمل به لله عزَّ وجَل، والدعاء الخالص لله سبحانه بالتوفيق وأن يفتح الله عليه ويسدده للصواب.

٢- الفهم الصحيح لضابط المقصد وحده.

٣- تدبر كلام الله تعالى وطول النظر والتأمل في أحوال السور: من زمان ومكان نزولها، وأسمائها، وفضائلها، وخصائصها، وأسباب نزولها، وتكرار بعض الكلمات فيها، فإن وقوع بعض الكلمات مكررة في السورة تدل على صلتها ودلالتها الخاصة بمكان ورودها.

٤- التعرف على مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها وربط افتتاحية السورة بخاتمتها.

٥- معرفة مقاصد القرآن الكريم العامة والانطلاق منها في فهم المقصد الخاص لكل سورة.

٦- الاستقراء: والاستقراء لغةً: مأخوذ من مادة(قرأ) التي تدل على الجمع والتتبّع، ويقال: استقرأ الشيءَ إذا تتبّعه وفحصه ليستوفي الجزئيات، فهو إذن تتبّع الجزئيات والأمثلة شيئًا فشيئًا بقصد استنتاج حكم

(١) ينظر: علم مقاصد السور وأثره في التدبر، (ص: ٧٥- ٧٦)، وعلم مقاصد السور، (ص:٨).

(٢) ينظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي (ت:٨٨٥ هـ)، (١٤٩/١).

(٣) ينظر: مقاصد سور القران الكريم، (ص:٧٧)، وعلم مقاصد السور، (ص: ٤٧- ٥٨)، والعلاقة بين المناسبات ومقاصد القران في سور الحواميم: هداية الميتاني، (ص:٣٤- ٣٥)، ومقاصد السور القرآنية عند الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني (جمعا ودراسة): وسام سمير عبد الرزاق علي الفهداوي، (ص:٦١)، ومقاصد القران الكريم بين الإمامين البقاعي وابن عاشور: سعيد إبراهيم سعيد دويكات، (ص: ٧٥-٧٩).

كلي جامع، أي استقصاء الجزئيات للوصول إلى قاعدة عامة أو نتيجة شاملة[١]، ويكون من خلال استقراء المفسر لآيات السورة والسعي للربط بين آياتها ليستنبط منها المقصد الكلي للسورة.

المطلب الثالث: في بيان الصلة بين مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن

تعريف مقاصد القرآن الكريم ومقاصد الشريعة:

لم يضع العلماء المتقدمون تعريفًا نصيًا جامعًا لـ (مقاصد القرآن)، بل كانت مقاصد القرآن وأهدافه العليا مبثوثة في ثنايا كتاباتهم وتفاسيرهم، تظهر في استنباطاتهم وشروحاتهم للآيات، كانت جزءًا من ممارستهم العلمية أكثر من كونها مصطلحًا نظريًا محددًا، وقد عبر العلماء عن مقاصد القران بتعابير ومصطلحات متعددة نوردها كي لا نقتصر بعبارة مقاصد فقط في فهم معاني هذا المصطلح، فقد استعملت عبارات منها: حِكَم، معاني، أسرار، أغراض، عِلَل، مصلحة، مُرادُ الشرع، للتعبير عن المقاصد وما يندرج فيها [٢]، وعرفها الدكتور عبد الكريم الحامدي: "**هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد**"[٣]

أما مقاصد الشريعة فقد تعددت تعريفات العلماء لها وتنوعت، ومن أبرزها تعريف الطاهر بن عاشور إذ قال: "الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظَمِها، وتدخل في ذلك أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها. وكذلك ما يكون من معانٍ من الحكم لم تكن ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"[٤]، ولعل من أجمعها وأوجزها تعريف اليوبي بقوله: "المقاصد هي المعاني والحِكَم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح العباد"[٥]

---

(١) ينظر: كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦هـ)، (٣٧/١)، والمعجم المحيط: أديب اللجمي، شحادة الخوري، البشير بن سلامة، عبد اللطيف عبد، نبيلة الرزاز، (٢٤٩/١)، ومعجم المغني: الدكتور عبد الغني أبو العزم، (٣١٦٨/١).

(٢) ينظر: مقاصد القران الكريم: دراسة معرفية: محمد المنتار، (ص: ٩٦).

(٣) المدخل الى مقاصد القران: الدكتور عبد الكريم الحامدي، (ص: ٣١).

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، (٢/ ٢١).

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: د. محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي: (ص:٢٨).

وبعد بيان القول في معنى المقاصد، ومقاصدُ القرآن الكريم، ومقاصد الشريعة، حَسُن بنا في هذا الموطن أن نُبَيِّن ما بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة من وشائج الائتلاف، وروابط الاتصال؛ إذ ليست إحداهما عن الأخرى بمنأى، ولا هي عنها في معزل، بل بينهما من التداخل والتساند ما يجعل النظر في إحداهما مُفضياً إلى الأخرى، والكشفَ عن إحداهما معيناً على فهم الثانية.

وذلك أن القرآن الكريم هو الأصل الأقوم، والمنبع الأصفى، الذي استمدّت منه الشريعة أصولَها الكلية، وغاياتِها العظمى، وأسرارَها المرعية؛ فقد أنزله الله تعالى هدايةً للخلق، وتبياناً لما يحتاجون إليه في أمر دينهم ودنياهم، ورحمةً للمؤمنين، يَقُصُّ عليهم سننَ الهدى، ويهديهم إلى سُبُل الرشاد، ويقيم لهم من قواعد الحق والعدل ما تنتظم به حياةُ الأفراد والجماعات، ومن ثَمَّ، فإن مقاصد الشريعة ليست في حقيقتها إلا ثمرةً من ثمرات المقاصد القرآنية، وفرعاً من فروعها، إذ القرآن هو الوعاء الجامع الذي تضمّن أمهات المصالح، وأرشد إلى حفظ الضرورات، وتكميل الحاجيات، وتحسين التحسينات، على وجهٍ تتحقق به عبوديةُ العباد لربهم، وصلاحُ معاشهم ومعادهم.

قال تعالى:" وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) [١].

وقال سبحانه: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)[٢]

ويمكن توضيح الصلة بين مقاصد الشريعة والقران من خلال ما يلي:

أولا: تستنبط المقاصد العامة للشارع الحكيم من القران الكريم: فمن المقاصد العامة للقران بيان العقيدة والغاية من الخلق، وإرسال الرسل، وتنزيل الكتب، وبعث الخلائق ومجازاتهم: [٣]

ففي توحيده سبحانه وتعالى وامتثال أوامره وإخلاص العبادة له سبحانه قال:" وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) [٤]

(١) سورة النحل: اية ٨٩

(٢) سورة يوسف: اية ١١١

(٣) ينظر: توظيف المقاصد في تدبر القران: د. يوسف احمد محمد البدوي، ص٢٥.

(٤) سورة الذاريات: اية ٥٦

وقال: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) [١]

وفي العدل في الأقوال والافعال ومخالفة الهوى قال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ۝ [٢]

وقال سبحانه: يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) [٣] ، يقول العز بن عبد السلام*: "وأجمع آية في القرآن للحث على المصالح كلها والزجر عن المفاسد بأسرها قوله تعالى ﴿ بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي ﴾ [٤] فإن الألف واللام في العدل والإحسان للعموم والاستغراق، فلا يبقى من دق العدل وجله شيء إلا اندرج في قوله ﴿ بز بم بن بى ﴾ ولا يبقى من دق الإحسان وجله شيء إلا اندرج في أمره بالإحسان"[٥]

وقيل في مخالفة الهوى: "المقصد شرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه حتى يكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد لله اضطرارا" [٦].

ثانيا: تضمن القران الكريم أصول المقاصد ومكملاتها، فمن القران الكريم ثبت ان تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصد الشريعة: من الضروريات الخمس: الدين والنفس والعقل، والنسل والمال، والحاجيات والتحسينيات [١].

---

(١) سورة البينة: اية ٥

(٢) سورة النحل: اية ٩٠

(٣) سورة ص: اية ٢٦

* عزُّ الدين عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السَّلامِ السُّلميُّ الدمشقيُّ (٥٧٧–٦٦٠هـ)، الإمامُ الشافعيُّ المجتهد، الملقَّبُ بسلطانِ العلماء، أحدُ كبارِ أئمّةِ الفقهِ والأصول. نشأ بدمشق، وتولّى بها الخطابةَ والتدريس، ثم ارتحل إلى مصر فوليَ القضاءَ والخطابة، واشتهر بصلابةِ الموقفِ في الحقّ، والجرأةِ في إنكارِ المنكر، مع سَعةِ العلمِ وغزارةِ التصنيف. ومن أشهرِ آثاره: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، والإلمام في أدلة الأحكام، وبداية السول في تفضيل الرسول. ينظر: الأعلام للزركلي، (٤/ ٢١).

(٤) سورة النحل: اية ٩٠

(٥) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: (٢/ ١٨٩).

(٦) الموافقات:(٢/٢٨٩)، وينظر: توظيف المقاصد في تدبر القران: (ص:٢٦).

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) [٢]،

الآيات الكريمة شملت حفظ الضروريات الخمس: فالنهي عن الشرك والامر باتباع الصراط المستقيم (حفظ الدين)، والنهي عن قتل الأولاد وقتل النفس (حفظ النفس)، والنهي عن الفواحش والامر والاقتراب منها (حفظ النسل والعرض)، بحفظ مال اليتيم والوفاء بالكيل والعدل في الميزان (حفظ المال) وقوله تعالى (لعلكم تعقلون)، (لعلكم تذكرون) الامر بالتدبر والتذكر (حفظ العقل) [٣].

يقول الشاطبي: "فإذا نظرنا إلى رجوع الشريعة إلى كلياتها المعنوية، وجدناها قد تضمنها القرآن على الكمال، وهي الضروريات والحاجيات والتحسينيات ومكمل كل واحد منها، وهذا كله ظاهر أيضا"[٤]، وهكذا تتجلى العلاقة بين مقاصد القران الكريم ومقاصد الشريعة حيث ان القران الكريم جاء بالمقاصد على هيئه اصول وقواعد وجاءت الشريعة على شكل شرح وبيان لما في القران الكريم، فمقاصد الشريعة ترجع في اصولها ودلالاتها إلى مقاصد القران حيث ينطوي القران الكريم على أرقي المقاصد واكبرها واعلى المصالح وأعظمها فهو أصل الاصول ومصدر المصادر[٥].

---

(١) توظيف المقاصد في تدبر القران: (ص :٢٧)، وينظر: المدخل إلى مقاصد القران، عبد الكريم الحامدي، (ص:٣٦).

(٢) سورة الأنعام: الآيات (١٥١ –١٥٣)

(٣) ينظر: توظيف المقاصد في تدبر القران: (ص: ٢٩– ٣٠).

(٤) الموافقات: (٤/ ١٨٢).

(٥) ينظر: المدخل الى مقاصد القران: (ص: ٣٤).

المبحث الثاني: التطبيق المقاصدي على سورة الجاثية

تنتظم سورة الجاثية ضمن السور المكية التي تبني خطابها على تحرير النظر قبل إلزام العمل، فتستدعي العقل إلى سنن الكون وآياته، وتزن المواقف بميزان المسؤولية، تتضافر محاورها حول؛ إثباتُ انفراد الله بالألوهية، وتقريرُ البعث ووصفُ بعض أحواله والردّ على شبه المنكرين، ثم تتفرع عنهما موضوعاتٌ تُحكم اتصال المعرفة بالأخلاق :التحذير من الاستهزاء بالآيات، وبيان النعم، وذِكر سنن الاختلاف والبغي في التاريخ، ثم توجيهُ الاتباع للشريعة والنهيُ عن اتّباع الأهواء، وتختم بفتح نافذة المصير على مشهد جامع، مشهد الأمم وهي تدعى إلى كتابها، فأسمها ليس مجرد علم اصطلاحي، بل علامة دلالية تشير إلى ذروة مقصدها، فالجاثية تحيل إلى لحظة انكشاف الحقائق حين ترى كل أمة جاثية تنتظر حكم العدل.

ومن هنا ينطلق هذا المبحثُ لاستجلاء مقاصد سورة الجاثية، حيث تُبرز كيف تتآزر دلائلُ التوحيد، وحججُ الوحي، وتنبيهُ الفطرة، ونقدُ الانحراف المعرفي والأخلاقي، لتؤسس مقصدًا جامعًا؛ صناعة إنسانٍ خاضعٍ للحق لا للهوى؛ واعٍ بالآيات لا بالأوهام؛ مسؤولٍ عن كسبه فردًا كان أو أمة، فالعقيدة فيها ليست شعارًا، والعبادة ليست طقسًا، والحرية ليست انفلاتًا؛ بل كلٌّ ذلك انتظامٌ في هدايةٍ تُنقذ العقل من التبرير، والقلب من الغفلة[1]

المطلب الأول: بين يدي السورة: تسميتها ونزولها ومناسبتها لما قبلها وموقعها في سياق الحواميم

أولا: تسميتها :اشتهرت في المصحف والمصاحف العتيقة باسم (سورة الجاثية)، وأيضا في كتب التفسير[٢]، وتسمى كذلك (حم الجاثية) لورود لفظ الجاثية فيها، ﴿ تخ تم ته ثمَّ [٣]، وهو لفظٌ لم يرد بهذا السياق في موضعٍ آخر، "لما جاء فيها من الأهوال التي يلقاها الناس يوم الحساب حيث تجثو الخلائق على الرّكب في انتظار الحساب، ويغشاهم من الفزع ما لا يخطر على بال"[٤] كما يُشير ابن عاشور إلى

---

١ ينظر: التحرير والتنوير: (٢٥/ ٣٢٤، ٣٤٣)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (١/ ٤٢٦)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، (٩/ ٨٧٠).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٢٣).

(٣) سورة الجاثية: من الآية ٢٨

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم:(٩/ ٨٧٠).

أن اقتران الاسم باللام – مع خلوّ اللفظ في الآية من اللام – إنما هو لتحسين الإضافة (أي: السورة التي ذُكرت فيها هذه الكلمة) [١]، ومن أسمائها (سورة الشريعة) لورود لفظ شريعة[٢] في قوله تعالى: ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) [٣]. وتسمى (سورة الدهر) لورود قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) [٤]، حيث لم تقع لفظة الدهر في غيرها من الحواميم[٥].

ثانياً: نزولها

السورة مكية كلّها على رأي أغلب المفسرين، إلا ما نقله القرطبي* رواية عن ابن عباس أنّ قوله تعالى: ﴿ [٦] مدنية [٧]

تعد السورة الخامسة والأربعون في ترتيب المصحف الشريف نزلت بعد الدخان في سياق تتابع سور (آل حم) وقبل الأحقاف، والمشهور في عدد آياتها أنَّها سبع وثلاثون آية [٨]

ثالثا: مناسبتها لما قبلها

تتجلى مناسبةُ افتتاح سورة الجاثية لخاتمة سورة الدخان في اللفظ والمعنى معًا، بما يُظهر تلاحمَ السورتين ضمن سياق الحواميم، ويُبرز أن الانتقال بينهما انتقالٌ مقصودٌ لا عَرَضيّ، ففي خاتمة الدخان

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٢٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٢٣)، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون: الأستاذ الدكتور مأمون حموش، (٧/ ٢٤٣).

(٣) سورة الجاثية: من الآية ١٨

(٤) سورة الجاثية: من الآية ٢٤

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٢٣).

* محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ)، مفسّرٌ مالكيٌّ كبير، من أهل قرطبة بالأندلس، رحل إلى المشرق واستقرّ بـ منية ابن خصيب في مصر، وتوفي بها، ونُسب إلى قرطبة فقيل له: القرطبي، ومن أشهر مصنفاته الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي. ينظر: الأعلام للزركلي، (٥/ ٣٢٢)، معجم المؤلفين، (٨/ ٢٣٩).

(٦) سورة الجاثية: من الآية ١٤

(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٦/ ١٥٦)، والتفسير المنير، (٢٥/ ٢٤٦).

(٨) ينظر: البيان في عد آي القرآن، (ص: ٢٢٦).

يختم الخطاب بتقرير تيسير القرآن للنبيّ ﷺ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) ﴾ [١]، ويعقبه بأمر الترقب ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ (٥٩) ﴾ [٢]، وكأن السورة تُسلِّم دفة الحديث إلى محورٍ جامع هو "الكتاب" بوصفه آيةً حاسمة، مع إبقاء مشهد المواجهة مفتوحًا على انتظار المآل، ثمَّ تأتي الجاثية فتستأنف هذا المحور من أولها بتوكيد مصدر الكتاب ووظيفته ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾ [٣]، وهو ما عبّر عنه البحر المحيط بأن مناسبة أول الجاثية لآخر الدخان "في غاية الوضوح" إذ إذ يقابل تصريحَ الدخان بتيسير القرآن تصريحُ الجاثية بتنزيل الكتاب[٤]، وتزداد المناسبة وضوحًا من جهة المقصد: فالدخان ختمت بـ ﴿ ظم عج ﴾ والجاثية جاءت لتفصل معنى التذكُّر عن طريق استدعاء دلائل الآفاق والأنفس ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) ﴾ [٥]

فصار التذكّر المذكور في خاتمة الدخان بمنزلة "الغاية" وجاءت افتتاحية الجاثية بمنزلة "الطريق" الذي تُساق فيه وجوه الاعتبار المؤدية إلى تلك الغاية، وهذا المعنى يلتقي مع تقرير المراغي* أن مناسبة الجاثية لما قبلها أن أول الجاثية يأتي مشاكلا لآخر الدخان في الأغراض والمقاصد [٦].

ويأتي هنا سؤال: لماذا لم تُذكر هذه الدلائل الكونية بهذا البسط في خاتمة الدخان نفسها؟ فيُجاب عنه بمنطق التناسب السياقي؛ لأن بناء السلسلة في الحواميم يسير _ كما أشار إليه الغرناطي _ من إقامة حجة الكتاب وتعظيم بيانه أولًا، ثم الانتقال إلى تنبيه المخاطبين إلى دلائل أُخرى (الآفاق والأنفس)؛ إذ

---

(١) سورة الدخان: اية ٥٨

(٢) سورة الدخان: اية ٥٩

(٣) سورة الجاثية: اية ٢

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير، (٩/ ٤١٢).

(٥) سورة الجاثية: اية: ٣-٥.

* أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ/١٩٥٢م) مفسرٌ مصريٌّ من العلماء، تخرّج بدار العلوم، وعمل في التدريس، وتولى مناصب علمية وتعليمية، منها أستاذية العربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة. ومن أشهر آثاره تفسير المراغي، إلى جانب مؤلفاتٍ في أصول الفقه والبلاغة. ينظر: الأعلام: للزركلي (١/ ٢٥٨).

(٦) ينظر: تفسير المراغي: (٢٥/ ١٤٠).

إن من أعرض عن برهان الكتاب لا يُعالج إعراضه دائمًا بإعادة البرهان نفسه، بل بفتح مسالك اعتبار أخرى قد صدّ عنها "مجرد الهوى"، ثم يُنزَّل على ذلك افتتاح الجاثية بآيات السماوات والأرض والخلق والليل والنهار والرزق والرياح، وهذا التعليل أورده صاحب البرهان في تناسب السور في سياق بيان صلة ما قبل الجاثية بها، كما نقله البقاعي في نظم الدرر عند تفسير مطلع السورة [١]

وخلاصة المناسبة: أن الدخان تُنهي المقطع بتثبيت الكتاب وتوجيه التذكّر والترقب، ثم تأتي الجاثية لتُحكم ذلك ببيان مصدر الكتاب أولًا، ثم بإقامة مجموعة من الشواهد الكونية التي تُحوِّل التذكر من أمر خطابي إلى ممارسة نظرٍ واستدلال – فيتحقق التناسب بين السورتين في اللفظ (الكتاب) وفي الغاية (التذكّر) وفي المنهج (البرهان).

رابعًا: موقع السورة في سياق الحواميم

تنتمي سورة الجاثية إلى مجموعة الحواميم، وهي السور المفتتحة بـ حم، وقد جرى في الدراسات التفسيرية والموضوعية النظر إليها بوصفها مجموعةً ذات تقاربٍ بيّنٍ في المقاصد العامة، وفي الأساليب الحجاجية، وفي القضايا الكبرى التي تعالجها، كالحديث عن الوحي، وموقف المكذبين، ودلائل التوحيد، وعاقبة الإعراض، ومشاهد الآخرة. وسورة الجاثية تقع في هذا السياق وقوعًا ظاهرًا؛ إذ تستأنف مناخ الحواميم في تعظيم الكتاب، ومجادلة المنكرين، وإقامة البراهين، غير أنها تمتاز بتركيزٍ خاص على مركزية الشريعة في حياة الإنسان، وعلى نقد الهوى بوصفه مرجعيةً منحرفة تناقض سلطان الوحي، وعلى تصوير مشهد الحساب تصويرًا بلغ من الكثافة أن صارت السورة تُعرف به.

المطلب الثاني: المقصد الأعلى ومقاصد السورة الكلية والجزئية

مقاصد سورة الجاثية:

يُستفتح النظر في مقاصد سورة الجاثية من حيث كونها وحدة دلالية لا مجرد آيات متجاورة؛ فمقصد السورة هو الغاية الجامعة لمعانيها، وهو "روح" تسري في أجزائها وتلمّ شتاتها في معنىً واحدٍ [٢]

وعلى هذا الأساس، تتبدّى المقاصدُ العامة لسورة الجاثية في بناءٍ محكمٍ يجمع بين مصدر الهداية ومنهج الاستدلال ومآل الإنسان؛ فهي أولًا تُقيم اليقين على قاعدةٍ كبرى: أنّ الكتاب منزلٌ من الله، وأنّ المرجع في الحق ليس الأهواء ولا الظنون، بل الوحي الذي يزن المعرفة والسلوك معًا ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ

(١) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن، (ص:٣٠٣ –٣٠٥)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (٦١/١٨ – ٦٤).

(٢) ينظر: المقاصد القرآنية دراسة منهجية: د. محمد بن عبد الله الربيعة، (ص: ٢٢٩).

مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) [١] ، ثم تُشيِّد برهان التوحيد عبر، آيات السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وتعاقب الليل والنهار، وإنزال الرزق وتصريف الرياح؛ لتجعل الإيمان نتيجةَ نظرٍ واعٍ لا تقليدًا خامدًا، وبعد تثبيت الأصول، تنتقل إلى مقصدٍ حضاريٍّ حاسم: تحكيم الشريعة واتباعها وقطع مسالك الزيغ المعرفي حين يتحوّل الهوى إلى مرجعيةٍ موازية للحق ً ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) [٢] ، وتختم ذلك بتقرير الغاية الأخروية الجامعة: المسؤولية والجزاء؛ حيث تقف الأمم والأفراد أمام حسابٍ لا تُغني فيه الدعاوى، وتنكشف فيه حقيقةُ الاختيار ُ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) [٣] ، بهذا تُقدِّم سورة الجاثية "منهج هداية" ؛ توحيدٌ مؤسَّسٌ على الدليل، وشريعةٌ تُضبط بها الأهواء، ومآلٌ يوقظ الضمير الفردي والجماعي – وذلك هو المدار الذي ستدور عليه مباحث المقاصد في هذه السورة[٤]

يقول الفيروز آبادي في المقصد العام للسورة أنَّ معظم مقصودها: "بيان حُجّة التّوحيد، والشكاية من الكفار والمتكبرين، وبيان النفع، والضرّ والإساءَة، والإحسان، وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أَهل الإيمان، وذَمّ متابعي الهوى، وذلّ الناس في المحشر، ونَسْخ كُتُب الأَعمال من اللَّوح المحفوظ، وتأبيد الكفَّار في النَّار، وتحميد الرّب المتعال بأَوجز لفظ، وأَفصح مقال، في قوله: ً فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) [٥] إلى آخر السورة" [٦].

كما جاء في تحديد المحور الرئيسي للسورة أنه "التحذير من التكبر في الأرض واتباع الهوى"[٧]، ويشر صاحب رسالة نظم الماس والدرر إلى أنَّ مقصد السورة: "بيان الآيات والطرق والوسائل التي نصبت لتوصل العبد إلى توحيد الله تعالى"[٨].

---

(١) سورة الجاثية: اية ٢

(٢) سورة الجاثية: اية ١٨

(٣) سورة الجاثية: من الآية ٢٨

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم،(٩/ ٨٧٠).

(٥) سورة الجاثية: اية ٣٦

(٦) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (١/ ٤٢٦).

(٧) أول مرة أتدبر القرآن، (ص: ١٩٠)

(٨) نظم الماس والدرر في معرفة مقاصد السور، (ص: ٢٣٧).

المقاصد الجزئية للسورة

المقصد الأول: تأسيس منهج اليقين بالوحي والكون والعقل (الآيات: ١-٦)

مطلع السورة يرسّخ مرجعية الوحي: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾[١]، ثم يُسنِدها بآيات الكون والإنسان والزمان ليُقيم منهجًا معرفيًّا قوامه النظر والعقل واليقين؛ فلا يبقى بعد آيات الله تعلُّل معتبر، وقد صرّح ابن عاشور بأن من أغراض السورة البدء بإثبات كون القرآن "حقا" وإقامة دلائل انفراد الله بالإلهية مع إدماج النعم، وأشار الطنطاوي إلى افتتاحها بالثناء على القرآن والدعوة للتدبر في الكون، وقرّر الزحيلي أن محورها المكي إثبات أصول العقيدة الثلاثة وأن البدء جاء بـ" تنزيل الكتاب" ثم الأدلة[٢]. وتفسير ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) ﴾[٣] عند الطبري* يُحكم معنى السلطان والحكمة والحكمة في مصدر الوحي، فيتحول الخبر إلى تأسيس إلزامي لا إلى سردٍ معلوماتي[٤] ثم تتتابع الأدلة: الأدلة: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) ﴾[٥]، وقد جعلها القرطبي دلائل معتبرة [٦]، ولخّص ابن كثير مقصدها بأنها إرشادٌ للتفكر في آلاء الله وقدرته [٧]، [٧]، وتخصيص الانتفاع بهذه الآياتً يدل على شروط التلقي الصحيح؛ حيث نبّه الرازي* إلى أن الدلالة

---

(١) سورة الجاثية: اية ٢

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٣٢٤/٢٥)، والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، (١٣/ ١٣٩)، والتفسير المنير، (٢٥/ ٢٤٧). ٢٤٧).

(٣) سورة الجاثية: من الآية ٢

* أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ/٨٣٩-٩٢٣م) إمامٌ مجتهد، ومفسّرٌ ومؤرّخٌ ومحدّث، وُلد بآمل طبرستان، ورحل في طلب العلم، ثم استوطن بغداد، فصار من أعلام الإسلام وأئمة التفسير والتاريخ. ومن أشهر مصنفاته: جامع البيان في تفسير القرآن وتاريخ الرسل والملوك، وقد عُدَّ من أوثق العلماء نقلًا وأوسعهم علمًا وتحقيقًا. ينظر: الأعلام للزركلي: (٦/ ٦٩)، ولسان الميزان: (٥/ ١٠٠)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٤) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٥٩).

(٥) سورة الجاثية: اية (٣-٥).

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٦ / ١٥٧).

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٤٣/٧).

* فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري (٥٤٤-٦٠٦هـ)، إمامٌ مفسّرٌ متكلّمٌ وأصوليٌّ شافعي، وُلد في الري، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وتوفي في هراة، وكان أوحدَ زمانه في المعقول

الدلالة قد تُرى للجميع لكن الانتفاع يختص بمن قام فيه مقتضى الإيمان[1]، وأما يم يى ثمرة اليقين بـ"لا إله غيره"[2] ثم تُغلِق الآية: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾[3]، باب الأعذار فلا يبقى بعد الله وآياته عذرٌ لمنكر.

المقصد الثاني: تقويم منهج التلقّي: إدانةُ الاستكبار والاستهزاء بالوحي، وتوجيهُ النظر إلى آياتِ التسخير لترسيخ التوحيد والشكر: بعد إقامة الحجة تُفضَح آفات فساد التلقي: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨)﴾[4] ، فمصدر الانحراف ليس نقصَ معلومةٍ، بل اعوجاجٌ أخلاقي (الكذب والاستكبار) وهنا يضيف القرطبي لفتة مقاصدية مهمة فيقول: "توعد من ترك الاستدلال بآياته"[5]، أي ترك النظر الذي يهدي الى الإيمان ذاته ذنب عظيم.

ويتجسد فساد التلقي في كون السماع حاصلا لكن الإصرار على الكفر والاستكبار يمنعان أثر الحجة، ويشرحها الطبري بوضوح: يسمع الآيات تُقرأ عليه ثم " يقيم على كفره.. مستكبرًا.. كأن لم يسمع ما تلي عليه من آيات الله بإصراره على كفره "[6] ومع هذا التعرية يفتح النص باب التلقي السليم عبر آيات التسخير: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)﴾ [7]، فتسخير الكون يُنشأ مقصدين: الشكر العملي بوصفه عبادةً وانقيادًا، ويفسره الطبري بمعنى: لتشكروا ربكم فتعبدوه وتطيعوه [8]، ويقرر ابن كثير جهة ابتغاء الفضل في التجارة والمكاسب[1].

والمنقول. ومن أشهر مصنفاته مفاتيح الغيب في التفسير، والمحصول في أصول الفقه، وقد ذاعت كتبه في الآفاق، وعُدَّ من كبار أئمة النظر والتحقيق. ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٣)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨، ٢٤٩)

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٧/ ٦٦٩).

(٢) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٤/ ١٨٤).

(٣) سورة الجاثية: اية ٦

(٤) سورة الجاثية: اية (٧-٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (١٦/ ١٥٨).

(٦) المصدر السابق، (٢٢/ ٦٣).

(٧) سورة الجاثية: اية ١٢

(٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٦٥).

قطع الشرك بتعميم التسخير: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) ﴾ [٢]، وفسره ابن كثير: "جميعا منه أي من عنده وحده لا شريك له في ذلك"[٣]، وحرّره ابن عاشور بأن التسخير مخصوص بما فيه فائدة الناس، وأن التفكر منبع مراتب الإيمان واليقين والعقل المذكورة قبل[٤]، وبذلك يلوح مقصد حفظ الدين بقطع الشرك، وحفظ العقل بتقويم التفكر، وحفظ المال والعمران بفتح وجوه المعاش المباح على شرط الشكر لا البطر[٥].

المقصد الثالث: إرشاد المؤمن إلى رد الفعل الأخلاقي عند مواجهة الأذى، بالصفح وترك التشفي الشخصي مع تثبيت قاعدة (العدل الإلهي والمسؤولية الفردية في الجزاء):

توجه السورة المؤمنين إلى ضبط الانفعال: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) ﴾ [٦] ، فالصفح ليس ضعفا بل تدبير من الله عز وجل الذي سيتولى جزاؤهم يوم القيامة لأن الجزاء مؤجل إلى محكمةٍ لا تظلم، ويصرح ابن عاشور بأن سياق الوعيد قد يثير غضب المؤمنين فجاء هذا التوجيه لضبط الانفعال وتوجيهه[٧]وفسره الطبري بأنه أمرٌ بالعفو عمن لا يخاف وقائع الله ونقمه[٨]، وذكر ابن كثير أنه كان في ابتداء الإسلام لتأليف القلوب ثم شرع القتال بعد استقرار العناد[٩]، فيظهر معنى التدرج والمرحلية وتحقيق حفظ الجماعة المؤمنة من الاستنزاف، ثم تُقرَّر قاعدة: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥) [١٠] فتستقيم أخلاق المؤمن على يقين المسؤولية الفردية.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٢٤٤).
(٢) سورة الجاثية: اية ١٣
(٣) تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٢٤٤).
(٤) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٣٧ – ٣٣٨).
(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٦٥).
(٦) سورة الجاثية: اية ١٤
(٧) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٣٨).
(٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٦٦).
(٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/ ٢٤٥).
(١٠) سورة الجاثية: الآية: ١٥

المقصد الرابع: إقامةُ سلطانِ الشريعةِ والعدلِ الأخرويّ لضبطِ الإنسان من بغيِ العلمِ وفتنةِ الهوى ووهمِ الدهر(الايات: ١٦-٢٦): يُذكر خبر بني إسرائيل توطئةً لإبراز مركز السورة: حيث تتوسط السورة آية هي كالقلب من الجسد ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) [١] وقد نص ابن عاشور على أنه تمهيد للانتقال إلى جعل النبي ﷺ على الشريعة[٢]، الشريعة[٢]، وفسر الطبري " الشريعة" بأنها الطريقة والمنهاج، والنهي عن اتباع الأهواء بأنه ترك الانسياق وراء دعوات الجاهلين بالحق[٣].

ثم تُحكم ولاية الله للمتقين وتنقض ولايات أهل الظلم: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) [٤]، ويُقرَّر العدل القيمي والجزاء: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢) ﴾ [٥]

وقد قرر الطبري أن من الحق مخالفةُ حكم المسيء والمحسن، وأن الجزاء على الأعمال لازمةُ هذا الحق[٦]، ثم تُكشف فتنة "عبادة الهوى" أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ [٧] وفسر القرطبي معناها بأن يجعل دينه ما يهواه [٨]، وتأتي مقالة الدهرية: ﴿ٱ ئر ئز ئمَّ لتُردّ بأنها ظن لا علم، ويذكر صاحب نظم الدرر تقسيم المنكرين إلى من ينكر جهلاً ومن ينكر كبراً؛ فتجيء الحجة: قُلِ اللَّهُ

(١) سورة الجاثية: الآية: ١٨
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٤٣).
(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٧٠).
(٤) سورة الجاثية:١٩ الآية.
(٥) سورة الجاثية: الآية: ٢١ -٢٢.
(٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٧٥).
(٧) سورة الجاثية: الآية: ٢٣.
(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٦/ ١٦٦ – ١٦٧).

يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)۝ [١] ، ويتأكد الملك:

المقصد الخامس: ترسيخ العدل الإلهي بوصفه نظامًا موثقًا: نشر الكتب وإسقاط وهم المهرب

وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) [٢] هنا يبرز اسم السورة بوصفه ذروة المقصد ۝ تخ تم ته ثم جح ۝ يقرر الطبري أن المراد بالكتاب: ما أُملي على الحفظة في الدنيا مما عملته الأمة، وأنه يُقرأ عليهم يوم القيامة [٣]، ويتبعه البيان الأبلغ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) [٤] وقد حرّر ابن عاشور إسناد "النطق" إلى الكتاب بأنه مجاز عقلي، وأن تعديته بـ(على) تفيد معنى التهديد والإلزام [٥]، فتجتمع المقاصد هنا في ثلاث معان: التوثيق، ثم الإلزام، ثم العدل. ثم تُصوِّر السورة حال الكافرين حين يقال لهم: ألم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم؟ ويُنسب سبب الخسارة إلى الاستكبار والسخرية [٦]

۝ ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) [٧]، فالمشهد ليس موعظةً مجردة، بل إغلاقٌ منطقي لمسار بدأ بالآيات وانتهى بتكذيبها.

المقصد السادس: خاتمة التوحيد والتعظيم:

الحمد والكبرياء لله تختم السورة بحمد الله رب السماوات ورب الأرض رب العالمين، وبإعلان الكبرياء له وحده ۝ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) [٨] ويبرز صاحب الظلال أثر الخاتمة بوصفها الإغلاق الأخير

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٦.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

(٣) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (٢٢/ ٨٢).

(٤) سورة الجاثية: من الآية ٢٩.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير، (٢٥/ ٣٦٨).

(٦) ينظر: التفسير الوسيط، (١٣/ ١٦٧).

(٧) سورة الجاثية: ٣٥.

(٨) سورة الجاثية: ٣٦ – ٣٧.

للمشهد، ويعود الختام إلى المطلع ُّ ٍّ ٌّ [1] ليقرر أن الغاية من الاستدلال ليست معرفةً مجردة، بل اعترافٌ بسلطان الله وحكمه، والانقياد لشريعته، والاستعداد لجزائه[2].

من خلال استقراء مفاصل السورة الكريمة يتبين أنه يمكن صياغة مقصدها الأعلى بـ:

إقامة سلطان الله في الاعتقاد والتشريع والجزاء؛ بتحويل آيات الوحي والكون إلى يقينٍ مُلزِم يقتضي اتباع الشريعة وترك الهوى، واستحضار يوم الجاثية حيث تُنشر الكتب ويقوم العدل.

المطلب الثالث: مقاصد السورة في ميزان الضروريات والحاجيات والتحسينيات:

ولمّا كانت مقاصد السور القرآنية جزءًا من البناء الكلي لمقاصد القرآن الكريم، وكانت مقاصد القرآن وثيقة الصلة بمقاصد الشريعة، أمكن النظر في المقصد الأعلى لكل سورة من جهة مرتبته في ميزان الضروريات والحاجيات والتحسينيات؛ إذ ليس المقصود بهذا الإجراء نقلَ التقسيم الأصولي إلى ميدان التفسير نقلًا مجردًا، ولا إقحامَه في تحليل السور إقحامًا شكليًّا، وإنما المقصود الإفادة منه بوصفه أداةً كاشفةً عن منزلة المقصد الأعلى من حيث تعلقه بحفظ الأصول الكلية، أو رفع الحرج عن المكلفين، أو تكميل السلوك وتهذيب الأخلاق، وقد قررت الدراسة في جانبها النظري أن القرآن الكريم قد تضمن أصول المقاصد ومراتبها، وأن مقاصد الشريعة ترجع في أصولها ودلالاتها إلى مقاصد القرآن، الأمر الذي يسوّغ الإفادة من هذا الميزان في قراءة المقاصد القرآنية قراءةً منضبطة.

من المعلوم أن المقاصد ليست كلها في مرتبة واحدة، فقد قرر الشاطبي أن الضروريات خمس، وأن الحاجيات ترفع الحرج، وأن التحسينيات تتعلق بمكارم الأخلاق[3]؛ وعلى هذا يمكن قراءة السورة كما يلي:

الضروريات: يتقدم حفظ الدين والعقل بإثبات التوحيد والوحي والبعث، وتقويم منهج الاستدلال، وفضح الدهرية والهوى.

الحاجيات: يظهر في توجيه العفو والصبر رفعًا للحرج عن الجماعة المؤمنة في طور الابتلاء.

---

(1) سورة الجاثية:٢.

(2) في ظلال القرآن، (٥/ ٣٢٣٤).

(3) - ينظر: الموافقات: (٣/ ٥٦١).

التحسينيات: تهذيب الأخلاق بالشكر والتواضع وترك السخرية وضبط ردود الفعل بما يخدم مقصود الدعوة.

الخاتمة

وبعدُ، فإن هذا البحث قد سعى إلى تقديم قراءةٍ تفسيريةٍ مقاصديةٍ لسورة الجاثية، تكشف مقصدها الكلي، وتبيّن أثره في انتظام بنائها الموضوعي والحجاجي، وفي تفسير مقاطعها وآياتها على نحوٍ يردّ الجزئيات إلى كلياتها، ويصل المعنى الجزئي بوظيفته الهداية والإصلاحية، وقد ظهر من خلال الاستقراء والتحليل أن سورة الجاثية ليست عرضًا متفرقًا لقضايا عقدية وتشريعية وأخروية، بل هي بناءٌ محكم تنتظم أجزاؤه حول مقصدٍ جامعٍ يوجّه مسار السورة من أولها إلى آخرها.

كما تبيّن أن التفسير المقاصدي لا يقف عند مجرد إثبات أن للسورة غايةً عامة، بل يتجاوز ذلك إلى بيان الكيفية التي تعمل بها هذه الغاية في تفسير المقاطع، وربط الانتقالات، وإظهار التلازم بين الحجاج المعرفي في مطلع السورة، وبين توجيه الإرادة إلى الشريعة في وسطها، وبين تقرير الجزاء والعدل في خاتمتها. وبهذا ظهر أن سورة الجاثية تؤسس يقينًا مُلزِمًا، لا يقتصر على تصحيح المعرفة، بل ينتهي إلى إلزام السلوك، وكسر سلطان الهوى، وتعظيم حكم الله في الاعتقاد والتشريع والجزاء.

وقد أكد التطبيق أن القراءة المقاصدية لسورة الجاثية قادرة على إبراز وحدتها البنائية، وبيان أن دلائل الوحي والكون، وآية الشريعة، ونقد عبادة الهوى، ومشهد الجاثية، ليست موضوعاتٍ متجاورة، بل حلقاتٌ متصلة في بناءٍ هدايٍّ واحد، غايته حمل الإنسان على الانقياد للحق، والاستعداد للعدل الإلهي يوم تُنشر الكتب، وتُدعى كل أمةٍ إلى كتابها.

أهم النتائج:

أولًا: تبيَّن أنَّ التفسيرَ المقاصديَّ منهجٌ صالحٌ للكشفِ عن الوحدةِ الموضوعيةِ للسورة، لأنه يردُّ الفروعَ إلى أصولها، والجزئياتِ إلى مقاصدها الجامعة، فيحفظُ انسجامَ البناءِ القرآنيّ ويمنعُ من تفكيكِه إلى معانٍ متناثرة

ثانياً: ظهر أن المقصد الكلي لسورة الجاثية يتمثل في إقامة سلطان الله في الاعتقاد والتشريع والجزاء، بتحويل آيات الوحي والكون إلى يقينٍ ملزمٍ يقتضي اتباع الشريعة، ورفض سلطان الهوى، واستحضار مشهد الحساب والعدل .

ثالثًا: كشف التفسير المقاصدي أن افتتاح السورة بتنزيل الكتاب، وإقامة الأدلة في الأنفس والآفاق، ليس تمهيدًا منفصلًا، بل هو أساسٌ معرفيٌّ يقود إلى ما بعده من تقرير الشريعة، ونقد الأهواء، وإثبات الجزاء.
رابعًا: بيّن تحليل السورة في ضوء مقصدها الكلي أن آية الشريعة تحتل موقعًا محوريًا في بنائها، وأنها تمثل انتقالًا من إقامة البرهان إلى إلزام الاتباع، ومن تقويم النظر إلى تقويم السلوك .
خامسًا: ظهر أن مشهد الجاثية في خاتمة السورة ليس مجرد خاتمة وعظية، بل هو الذروة التي تتجمع فيها خيوط السورة كلها؛ إذ يعود فيه الخطاب إلى نتيجة الموقف من الوحي، ومن الشريعة، ومن الآيات، ليظهر العدل الإلهي موثقًا في الكتاب .

سادسًا: أثبت التطبيق أن التفسير المقاصدي يُعين على تجاوز الوقوف عند الدلالة اللفظية المجردة إلى إبراز الوظيفة الإصلاحية للسورة في بناء اليقين، وتقويم العقل، وضبط الهوى، وتوجيه الإنسان إلى الانقياد لحكم الله في الدنيا والاستعداد لجزائه في الآخرة.

التوصيات:

ويوصي البحثُ بمزيدِ العنايةِ بالدراساتِ المقاصديةِ التطبيقيةِ في السورِ القرآنية، ولا سيما سورِ الحواميم، مع ضرورةِ إحكامِ الضوابطِ المنهجيةِ لهذا المسلكِ بما يصونُه من التكلّفِ والظنّ غيرِ المنضبط، كما يقترحُ توسيعَ البحثِ في العلاقةِ بين مقاصدِ السورِ والوحدةِ الموضوعيةِ والبناءِ الحجاجي، وإنجازَ دراساتٍ مقارنةٍ تُحرّرُ الصلةَ بين التفسيرِ المقاصديّ وغيره من المناهجِ التفسيريةِ المتقاربة.

ويقترحُ هذا البحثُ:

دراسةِ مقاصدِ السورِ المكية في ضوءِ مراتبِ المقاصد: الضرورياتِ والحاجياتِ والتحسينيات، وبيانِ كيف تُسهمُ هذهِ القراءةُ في إبرازِ الوظيفةِ العقديةِ والتربويةِ والإصلاحيةِ للخطابِ القرآني.
إعدادِ دراسةٍ مقارنةٍ بين سورةِ الجاثيةِ وسائرِ سورِ الحواميم في ضوءِ المنهجِ المقاصدي، للكشفِ عن وجوهِ الاتفاقِ والافتراقِ في بناءِ مقصدِ التوحيدِ، وموقعِ الشريعةِ، ومسالكِ الحجاجِ القرآنيّ فيها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٢- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الطبعة: الخامسة عشر، الناشر: دار العلم للملايين، تاريخ النشر:٢٠٠٢ م.

٣- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، أبو حيان (المتوفي: ٧٤٥هـ)، صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، تاريخ النشر: ١٤٢٠ هـ.

٤- البرهان فى تناسب سور القرآن (ويسمى: البرهان فى ترتيب سور القرآن): أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، دون طبعة، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، تاريخ النشر: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م.

٥- البرهان في علوم القرآن: بَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، تاريخ النشر: ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دون طبعة، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، تاريخ النشر: جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م، جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، جـ ٦: ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م.

٧- البيان في عدّ آي القرآن: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الطبعة: الأولى، الناشر: مركز المخطوطات والتراث – الكويت، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٨- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، دون طبعة، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

٩- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٩ هـ.

١٠- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون (تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين تفسير منهجي فقهي شامل معاصر): الأستاذ الدكتور مأمون حموش، التدقيق اللغوي: أحمد راتب حموش، الطبعة: الأولى، تاريخ النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

١١- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، تاريخ النشر: ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

١٢- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، دمشق، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

١٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الطبعة: الأولى، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، تاريخ النشر: (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) – (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)

١٤- التفسير الوسيط للقرآن الكريم: محمد سيد طنطاوي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، تاريخ النشر: أجزاء ١ – ٣: يناير ١٩٩٧، جزء ٤: يوليو ١٩٩٧، جزء ٥: يونيو ١٩٩٧، أجزاء ٦ – ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ – ١٤: فبراير ١٩٩٨، جزء ١٥: مارس ١٩٩٨.

١٥- توظيف المقاصد في تدبر القران: الدكتور يوسف احمد محمد البدوي، جامعة أم القرى، دون طبعة، دون تاريخ وسنة نشر.

١٦- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، الناشر: مؤسسة الرسالة، تاريخ النشر: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري): محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر

الناصر، الطبعة: الأولى، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، تاريخ النشر:١٤٢٢هـ
١٨- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة: الثانية، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٩- سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة: الثالثة، الناشر: مؤسسة الرسالة، تاريخ النشر: ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٢٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أبو نصر (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، تاريخ النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٢١- العلاقة بين المناسبات ومقاصد القران في سور الحواميم: هداية عبد الرحمن محمد الميتاني، إشراف: أ. د. عودة عبد الله ، د. سعيد إبراهيم دويكات، (رسالة ماجستير – جامعة النجاح الوطنية – نابلس فلسطين)، ٢٠٢٠ م.
٢٢- علم مقاصد السور وأثره في التدبر: عبد المحسن بن زبن المطيري، الطبعة: الأولى، الناشر: المفكرون الدولية للنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
٢٣- علم مقاصد السور: د. محمد بن عبد الله عبد الرحمن الربيعة، الطبعة: الأولى، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
٢٤- في ظلال القرآن: إبراهيم حسين الشاربي، سيد قطب (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، الطبعة: السابعة عشر، الناشر: دار الشروق – بيروت- القاهرة، تاريخ النشر: ١٤١٢ هـ.
٢٥- قواعد الأحكام في مصالح الأنام: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية – بيروت، ودار أم القرى – القاهرة)، تاريخ النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
٢٦- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الطبعة: الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، تاريخ النشر: ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٧-كتاب العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري أبو عبد الرحمن (المتوفي: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دون طبعة، الناشر: دار ومكتبة الهلال، دون تاريخ نشر.

٢٨-لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار صادر – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ.

٢٩-لسان الميزان: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، أبو الفضل (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، الطبعة: الثانية، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، تاريخ النشر: ١٣٩٠هـ -١٩٧١م.

٣٠-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، أبو عبد الله (المتوفي: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الطبعة: الخامسة، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت–صيدا، تاريخ النشر: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣١-المدخل إلى مقاصد القرآن: الدكتور عبد الكريم الحامدي (أستاذ الفقه المقارن والتفسير بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية)، دون طبعة، الناشر: مكتبة الرشد، دون تاريخ النشر.

٣٢-معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، أبو محمد (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، تاريخ النشر: ١٤٢٠ هـ.

٣٣-معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الطبعة: الأولى، الناشر: عالم الكتب، تاريخ النشر: ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤ (٣ ومجلد للفهارس) في ترقيم مسلسل واحد.

٣٤-المعجم المحيط: أديب اللجمي، شحادة الخوري، البشير بن سلامة، عبد اللطيف عب، نبيلة الرزاز، المراجعة والتنسيق: أديب اللجمي–نبيلة الرزاز، دون طبعة وتاريخ النشر.

٣٥-معجم المغني: الدكتور عبد الغني أبو العزم، دون طبعة وتاريخ النشر.

٣٦-المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دون طبعة، الناشر: دار الدعوة، دون تاريخ النشر.

٣٧-معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دون طبعة، الناشر: دار الفكر، تاريخ النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٨- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ النشر: ١٤٢٠ هـ.
٣٩- مقاصد السور القرآنية عند الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني (جمعا ودراسة): وسام سمير عبد الرزاق علي الفهداوي، إشراف: الأستاذ الدكتور محمود حميد مجبل العيساوي، جامعة الأنبار – كلية التربية للعلوم الإنسانية، ١٤٤٣ هـ – ٢٠٢٢ م.
٤٠- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: د. محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، إشراف: عمر بن عبد العزيز محمد. دون طبعة، دون دار وتاريخ النشر.
٤١- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دون طبعة، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، تاريخ النشر: ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
٤٢- مقاصد القران الكريم بين الامامين البقاعي وابن عاشور: سعيد إبراهيم سعيد دويكات، (رسالة دكتوراه، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية – الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا)، ٢٠١٣ م.
٤٣- مقاصد القرآن الكريم: قراءة معرفية: محمد المنتار، المصدر: بحوث ومقالات، المصدر: مجلة الترتيل، الناشر: الرابطة المحمدية للعلماء – مركز الدراسات القرآنية، العدد: ٣، التاريخ: ٢٠١٦.
٤٤- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة: الأولى، الناشر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٤٥- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، دون طبعة، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ نشر.
٤٦- نظم الماس والدرر في معرفة مقاصد السور (من الصافات إلى الحجرات): عدنان عبد القادر، الطبعة: الأولى، دار حامل المسك للنشر والتوزيع – الكويت، تاريخ النشر: ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.
٤٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، أبو العباس شمس الدين (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: ج١ – ج ٢- ج٣: ٠، ١٩٠٠، ج٤- الطبعة: ١، ١٩٧١، ج٥ – الطبعة: ١، ١٩٩٤، ج٦ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠، ج٧ – الطبعة: ١، ١٩٩٤.